خـــــطوات عـــلى طـــريق التعـــــريب

د. محمد يونس عبد السميع الحملاوي (*)

بزغ في العقد الأخير من القرن العشرين الميلاديّ العديد من الجمعيات والهيئات العلمية التي اتخذت من قضية التعريب، بمختلف روافدها، محوراً لعملها، نذكر منها، على سبيل المثال، الجمعية المصرية لتعريب العلوم، والجمعية المصرية لهندسة اللغة، بالإضافة إلى جمعية لسان العرب التي تهتم بقضايا استعمال اللغة. والجمعيات الثلاثه تباشر عملها في مصر.

وبجانب هذه الجمعيات، ظهرت في لبنان المنظمة العربية للترجمة وفي الجزائر جمعية الحفاظ على اللغة العربية، وفي الشارقة جمعية الحفاظ على اللغة العربية، وفي ذات الوقت استمر اهتمام الهيئات العامة القومية والوطنية بقضية الاستعمال الصحيح للغة العربية وتعريب التعليم. ويمكننا استنتاج حجم ما تبذله الجمعيات العلمية والأفراد حين نرصد المعاجم العربية الصادرة خلال فترة نصف القرن الميلاديّ الماضي لنكتشف أن عدد ما أنتجته الهيئات الحكومية والقومية والدولية واللغوية من معاجم يقل عما أنجزه الأفراد والجمعيات العلمية العربية. وهذا الأمر يشير بجلاء إلى أهمية دور الأفراد والجمعيات العلمية في مسيرة التعريب .

ولنأخذ الجمعية المصرية لتعريب العلوم، كمثال لتلك الجمعيات النشطة في هذا المجال، حيث تهدف الجمعية إلى تحقيق التعريب بدءاً بتعريب التعليم وانتهاءً بتعريب الأمة. ولقد نهجت الجمعية في هذا السبيل نهجاً علمياً في التعامل مع مختلف فروع وجزئيات القضية وتناولت تلك الجزئيات في مؤتمراتها السنوية الثمانية (حتى يوليو 2002 م) والتي عالجت العديد من جوانب القضية ومنها لغة التعليم قبل الجامعيّ، اللغة والهوية، اللغة العربية في الحاسوب، معوقات التعريب، الجوانب الاقتصادية لمنظومة التعريب، الجوانب القانونية لمنظومة التعريب، تعريب العلوم والعولمة، تقويم مسيرة تعريب العلوم، العقبات والمسوِّغات المعطلة للتعريب. كما قامت الجمعية بعقد اثنتي عشرة ندوة عن الأرقام العربية الأصيلة (0, 9876543210) وعن الرموز العلمية، وعن تعريب التعليم الطبيّ، وعن تعريب التعليم الهندسيّ، بالإضافة إلى المحاضرات المتخصصة في مجمع اللغة العربية المصريّ والمجلس الأعلى للثقافة بمصر.

ولقد تعاونت الجمعية مع العديد من الهيئات الوطنية والقومية والدولية، في تحقيق رسالتها، وارتفع الاهتمام الوطنيّ في مصر بالقضية. ويمكن أن نشير هنا إلى تدرج رعاية ندوات ومؤتمرات الجمعية حتى وصل إلى أن رعى مؤتمرات الجمعية الثلاثة الأخيرة الأستاذ الدكتور رئيس الوزراء، إضافة إلى وزير التعليم العالي. كما تدرج الاهتمام بندوات الجمعية، في الخط ذاته، إلى أن أصبحت قضية تعريب التعليم بمفرداتها من القضايا التي يتم تداولها في أروقة جهات صنع القرار و التشريع في مصر.

(*) أستاذ هندسة الحاسبات، كلية الهندسة، جامعة الأزهر.

ولا يفوتني أن أشير إلى زيادة اهتمام ومشاركة الأفراد والمؤسسات، من مختلف بقاع وطننا العربيّ، في نشاط الجمعية، حيث شارك حتى الآن في مؤتمرات الجمعية وندواتها باحثون من مختلف جامعات وهيئات الوطن العربيّ، من مشرقه إلى مغربه. ونشير إلى أن الجمعية تركز ضمن قائمة أولوياتها على الأستاذ الجامعيّ باعتباره الهدف والوسيلة في ذات الوقت لتحقيق التعريب الكامل لأمتنا. ونشير إلى أن سياسة الجمعية لا تستهدف إصدار قرار سياسيّ جديد لدفع مسيرة التعريب، لأن القرار قد صدر وعلى المتخصصين تفعيله فقط، حيث تنص دساتير جميع الدول العربية وقوانينها على أن العربية هي اللغة القومية وعلى أن التعليم حق للمواطنين باللغة القومية. ونشير كذلك إلى أن معاهدات اليونسكو التي وقعت عليها جميع الدول العربية تنص على حق المواطنين في التعليم بلغتهم. إذاً فالقرار السياسيّ قد صدر. ومن المؤكد أننا حينما نضع تلك الحقائق أمام أساتذة الجامعات فإنهم سيستشعرون واجبهم تجاه مجتمعهم الذي أنفق ما يزيد على ثلث المليون جنيه لتعليم كل فرد منهم.ولا يفوتني أن أشير إلى خطورة القرار السياسيّ حيث نجد ردةً في النهج نحو التعريب، وذلك في اختيار لغة غير العربية في التعليم عن بعد تحت مظلة عربية (؟ !) وكذلك نجد نفس الرِدَّة فيما حدث في إحدى الجامعات العربية التي استمرت تدرس بالعربية لأكثر من ربع قرن (؟!). ولهذا فيمكننا أن نشير صراحة إلى أن الصواب لم يجانب الجمعية حين ركزت على الأفراد والهيئات العلمية لتحقيق رسالة تعريب الأمة.

ومن جملة الوسائل التي تتبعها الجمعية المصرية لتعريب العلوم، دعوتها المكتوبة والمنشورة على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) لمختلف مناشطها. كما أن الجمعية تصدر"رسالة التعريب " بصورة ورقية وبصورة إلكترونية للترويج لأهدافها. وبالإضافة إلى ذلك يعرض موقع الجمعية على شبكة الإنترنت www.tareeb.org مختلف أعمال الجمعية.

لقد تعاملت الجمعية، بصورة علمية، مع مختلف قضاياها، فقامت بعمل الدراسات عن تقييم التدريس بالعربية والتي لم يقم بها أحد في وطننا العربيّ سوى مجمع اللغة العربية الأردنيّ. ولقد بلغ عدد دراسات الجمعية حتى الآن سبع دراسات حول هذا الموضوع. ونشير هنا إلى ضرورة أن تقوم مختلف الجامعات بعمل مثل تلك الدراسات حتى يمكنها أن تقيم وتقوم تجاربها.

وكمثال على معالجة الجمعية المصرية لتعريب للعلوم للقضايا المختلفة، نستعرض قضية الرقم العربيّ، الأصيل (0, 9876543210). لقد قامت الجمعية المصرية لتعريب العلوم بعقد ثمان ندوات، عن هذه القضية، شارك فيها باحثون من مختلف الدول العربية في المشرق والمغرب. وتناولت تلك الندوات مختلف عناصر القضية التي اشتملت على: تاريخ الرقم العربيّ والرقم الغربيّ، أصل الرقم العربيّ، واقع استخدام الأرقام في تراثنا العلميّ، الواقع الحالي لاستخدام الرقم العربيّ، ملاءمة الأرقام للتقانة، انتماء أشكال الأرقام مع أشكال الحروف العربية، كفاءة الرقم العربيّ والرقم الغربيّ، الشبهات المتوهمة عن الصفر، الفهم الصحيح لكتابات المستشرقين عن الرقم، الجوانب القومية في قضية الرقم، الدراسات اللغوية حول الرقم. ولقد خلصت تلك الدراسات إلى تأييد استمرار بلاد المشرق العربيّ في استخدام الأرقام العربية الأصيلة (0, 0 987654321) حيث لا يوجد على الإطلاق ما يبرر العدول عنها إلى الأرقام الغربية المستعملة في أوروبا، مع الالتفات إلى أن تغيير الأرقام

يخشى أن يكون تمهيداً لتغيير الحروف العربية نفسها، كما أثبتت ذلك تجارب التاريخ. كما خلصت الدراسات إلى أن تمسك المشرق بالأرقام العربية الأصيلة، فيه حفاظ على اللغة العربية ذاتها التي تشكل مفرداتها من الحروف بجانب هذه الصورة من الأرقام، وحفاظ على تواصل التراث العربيّ القديم بزمننا الحاضر، ومحافظة على هويتنا، ويسر للتواصل بين البلاد الإسلامية العربية التي تستخدمها. فالأرقام العربية الأصيلة أكثر ملاءمةً للحروف العربية و انتماءً إليها والتصاقاً بها على مر العصور، علاوة على أنها أكثر كفاءة من الأرقام الغربية المستعملة في أوروبا. ومن ثم يكون من المنطق أن يتوحد العرب جميعهم على الأرقام العربية الأصيلة فالتمسك بها تمسك بالعربية. كما أشارت الدراسات إلى تأييد القرار الحاسم الذي سبق أن اتخذه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بالتمسك بالأرقام العربية المشرقية وقرار اتحاد المجامع العربية الذي يدعو بلاد المغرب العربيّ التي تستخدم الأرقام الغربية بالعودة إلى استعمال الأرقام المشرقية، الأصيلة التي استقر استعمالها من قرون عديدة. ومن ثمّ نخلص إلى أنه يجب أن يولي الجميع قضية الأرقام العربية المشرقية الأصيلة ما تستحقه من اهتمام اعتماداً على حقائق التاريخ وحفاظاً على هوية الأمة العربية وحرصاً على تواصل حاضرها بتراثها المجيد في ضوء الحقائق التاريخية والدوافع القومية المُلحة التي أظهرتها الدراسات العلمية. وإننا لنهيب بالأفراد والمؤسسات بجميع البلاد العربية أن يتبنوا الرقم العربيّ الأصيل (9876543210, 0) وأن يستعملوه بالأسلوب والمواصفات الصحيحة في مختلف مناشطهم وأعمالهم.